

حَوْزَةُ الْهَدْيِ لِلدَّيْنِ الْإِسْلَامِيِّ

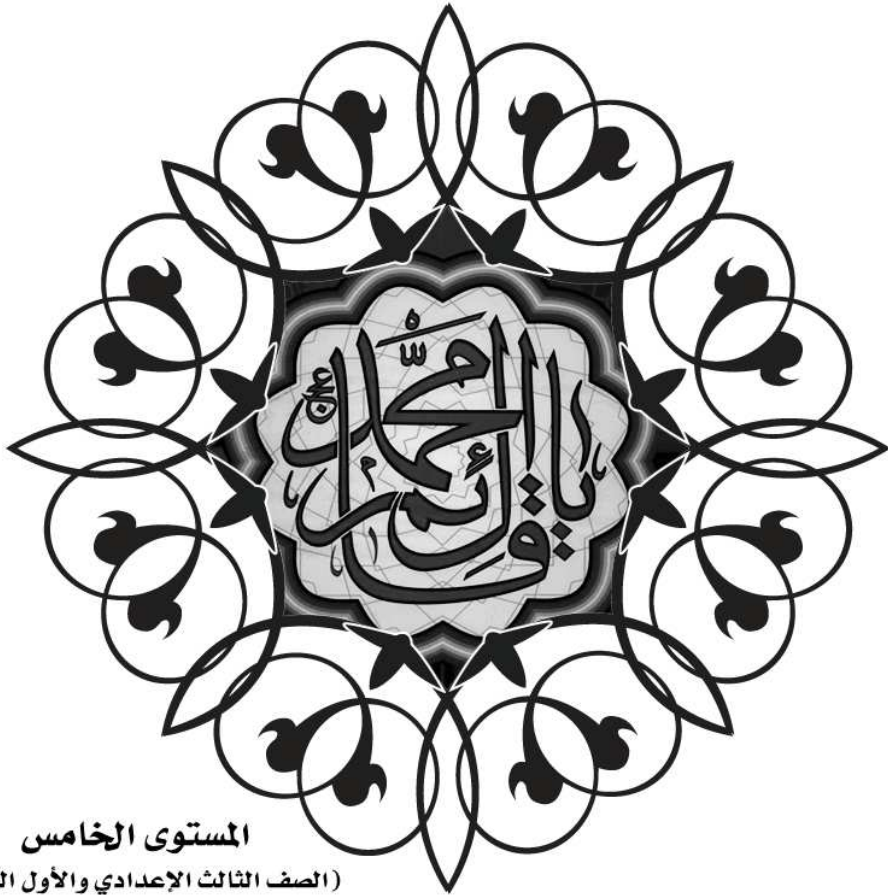


تأسست ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

برعاية سماحة الشيخ محمد صنيقر

سيرة المعصومين

عليهم السلام



لجنة المناهج - ٢٠٠٧م

المستوى الخامس

(الصف الثالث الإعدادي والأول الثانوي)

إعداد

لجنة المناهج

القسم الثاني

الهدف من دراسة هذا القسم هو الوقوف على الجوانب المهمة في حياة الإمام المنقذ والمصلح الأعظم المهدي المنتظر عليه السلام حيث يتم التعرض إلى فترة الغيبتين الصغرى والكبرى وطريقة اتصال الإمام بالأمة في كل منهما، مع الإجابة على بعض الإشكالات المتعلقة بحركة ظهوره عليه السلام كما يمكن للمعلم بحسب سعة الوقت عنده أن يستعين ببعض المصادر التي تغذي فكر الطالب أو الإشارة إلى إشكالات أخرى مثارة في هذا الصدد مع الإجابة التامة عنها ليتحصن الطالب ويتعزز ارتباطه بالإمام المنتظر (عجل الله تعالى له الفرج).

المهدوية في التاريخ الإسلامي والإنساني

قضية المصلح العالمي إنسانية قبل أن تكون إسلامية:

ليس المهدي تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغةً لإلهام فطري، أدرك الناس من خلاله -على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب- أنَّ للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تتحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة (المتعبة) للإنسان على مرَّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناءٍ طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدَّ إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشدَّ الأيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسَّرت التاريخ على أساس التناقضات، وأمنت بيوم موعود، تُصَفَّى فيه كلُّ تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام. وهكذا نجد أنَّ التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارسَتْها الإنسانية على مرَّ الزمن، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً (انتشاراً) بين أفراد الإنسان.

دور الدين في طرح قضية المصلح العالمي:

وحيثما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام، ويؤكد أنَّ الأرض في نهاية المطاف ستمتلئ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، يعطي لهذا الشعور قيمته الموضوعية ويحوِّله إلى إيمان حاسم بمستقبل المسيرة الإنسانية، وهذا الإيمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب، بل مصدر عطاء وقوة، فهو مصدر عطاء؛ لأنَّ الإيمان بالمهدي إيمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها، وهو مصدر قوة ودفع لا ينضب؛ لأنَّه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الإنسان، ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمت الخطوب وتعملق الظلم، لأنَّ اليوم الموعود يثبت أنَّ بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور، فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، ويقيم بناءه من جديد، وأنَّ الظلم مهما تجبَّر وامتدَّ في أرجاء العالم، وسيطر على مقدراته، فهو حالة غير طبيعية، ولا بدَّ أن ينهزم. وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده، تضع الأمل كبيراً أمام كلِّ فرد مظلوم، وكل أمة مظلومة في القدرة على تغيير الميزان وإعادة البناء.

وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإنَّ معالمها التفصيلية التي حدَّدها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكل الطموحات التي انشَدَتْ إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني، وأغنى عطاءً وأقوى إثارةً لأحاسيس المظلومين والمُعذَّبين على مر التاريخ، وذلك لأنَّ الإسلام حوَّل الفكرة من غيب إلى واقع، ومن مستقبل إلى حاضر، ومن التطلع إلى منقذ تتمخَّض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول، إلى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً، وتطلُّعه مع المتطلِّعين إلى اليوم الموعود، واكتمال الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم.

فلم يعد المهدي (عليه السلام) فكرة ننتظر ولادتها، ونبوءة نتطلع إلى مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته، وإنساناً معيَّناً يعيش بيننا -بلحمه ودمه- نراه ويرانا، ويعيش مع آملنا وآلامنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كلَّ ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المُعذَّبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوي بكلِّ ذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التي يُتاح له فيها أن يمدَّ يده إلى كلِّ مظلوم وكلِّ محروم، وكلِّ بائس، ويقطع دابر الظالمين.

وقد قُدِّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه، ولا يكشف لآخرين حياته على الرغم من أنَّه يعيش معهم، انتظاراً للحظة الموعودة.

أثر الإيمان بالمهدي المنتظر:

ومن الواضح أنَّ الفكرة بهذه المعالم الإسلامية، تقرَّب الهوة الغيبية بين المظلومين -كل المظلومين- والمنقذ المنتظر، وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي قصيراً مهما طال الانتظار.

ونحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً عن إنسان حي محدَّد يعيش فعلاً كما نعيش ويترقب كما نترقب، يراد الإيحاء إلينا بأن فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور التي يمثلها المهدي، تجسَّدت فعلاً في القائد الراض المنتظر، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث، وأنَّ الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً ومواكبة له.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة الحثُّ المتواصل على انتظار الفرج، ومطالبة المؤمنين بالمهدي أن يكونوا بانتظاره. وفي ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحية، والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد الراض، وكل ما يرمز إليه من قيم، وهي رابطة وصلة ليس بالإمكان إيجادها ما لم يكن المهدي قد تجسَّد فعلاً في إنسان حي معاصر.

وهكذا نلاحظ أنَّ هذا التجسيد أعطى الفكرة زخماً جديداً، وجعل منها مصدر عطاء وقوة بدرجة أكبر، إضافة إلى ما يجده أي إنسان راض من سلوة وعزاء وتخفيف لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان، حين يحسَّ أنَّ إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام ويتحسَّس بها فعلاً بحكم كونه إنساناً معاصراً يعيش معه، وليس مجرد فكرة مستقبلية.

القضية الهمدوية الإسلامية قبل أن تكون شيعية:

إنَّ كثيراً من قضايانا العقائدية صبغت بصبغة مذهبية أو طائفية، بسبب عوامل معيّنة، طرأت عليها، فجعلتها في إطار ذلك المذهب، أو نطاق تلك الطائفة.. ممّا أفقدها طابعها العام، بصفتها عقيدة إسلامية عامّة.

وراحت تتغلغل في تمذهبها نتيجة دفع كثير من الدراسات والبحوث، غير المقارنة، أو غير الموضوعية، التي تدور حول القضية على اعتبار أنّها من عقائد مذهب معيّن، أو طائفة معيّنة. (قضية المهدي المنتظر) إحدى تلك القضايا التي حوّلتها العوامل الطارئة إلى قضية خاصة، فجعلتها في إطار مذهب الشيعة وفي نطاق هذه الطائفة من طوائف المسلمين.

تطبيقات

س١: كيف تدلل على أن فكرة المصلح هي فكرة عالمية؟

.....

.....

.....

س٢: بين الأثر النفسي لفكرة المصلح الموعود على مستقبل البشرية.

.....

.....

.....

س٣: صح أم خطأ:

- ١- () تعتبر فكرة المصلح الموعود فكرة إنسانية عالمية لا يختص بها مجتمع دون آخر.
- ٢- () للإيمان بفكرة خروج المصلح آثار نفسية على المجتمعات أبرزها الخضوع للظلم انتظاراً لخروج المصلح.
- ٣- () باعتبار أن الإسلام هو الدين الخاتم وهو مستقبل البشرية فإن فكرة المصلح الموعود هي فكرة إسلامية بحتة.
- ٤- () من أبرز علامات انتظار القائم المصلح هو الالتزام بخط المرجعيات الدينية.

س٤: اذكر حديثاً واحداً يتناول موضوع الإمام المهدي عليه السلام مع الإشارة إلى المصدر الذي رجعت إليه.

الحديث:

.....

.....

المصدر: اسم المصدر: المؤلف (الكاتب)

رقم الصفحة: رقم الجزء (المجلد): رقم الطبعة وسنتها ودار النشر:

.....

١٥

الميلاد و علة إخفاء الولادة

نحن أمام أمل الإنسانية المعذبة التي دمرتها الحروب، وفتكت بها أطماع المستعمرين، نحن أمام العدل الصارم الذي يمحو الظلم، ويسحق الاستعباد ويحطم الجور، ويشيع الرحمة ويبسط المحبة والمودة بين الناس، ويملا قلوب المحرومين والبؤساء رجاءً ورحمة.

نحن أمام قائم آل محمد ﷺ الذي أعدّه الله تعالى لإصلاح العالم، وتغيير منهاج الأنظمة الفاسدة التي هبطت بالإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار. نحن أمام من اختاره الله وأعدّه ليملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

إنّ الله تعالى اختار للإصلاح الشامل أعظم ولي من أوليائه، ومن أشجعهم قلباً، ومن أنفذهم بصيرة، ومن أكثرهم نكراناً للذات، وحسبه شأنًا ومكانةً أنّه من أهل البيت الذين زكّاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.. ونعرض بإيجاز لبعض شؤونته.

الوليد العظيم:

وأشرق الدنيا بولادة المصلح الأكبر الذي يعيد للإسلام بهجته ونعمته على الناس، وينقذهم من الظلمات والجور والطغيان، وكان من عظيم لطف الله تعالى أن أخفى حمله وولادته كما أخفى حمل وولادة نبيه موسى بن عمران، وقد روى المؤرخون كيفية ولادته، فقد ذكروا أن الإمام الحسن العسكري ﷺ دعا عمته السيدة الجليلة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد ﷺ، وكانت تضارع جدتها فاطمة الزهراء -سلام الله عليها- في عبادتها وعفتها وطهارتها، ولما مثلت عنده قابلها الإمام بمزيد من الحفاوة والتكريم، وقال لها: "يا عمّة، اجعلي الليلة إفطارك عندي، فإنّ الله عزّ وجلّ سيسرّك بوليه وحجّته على خلقه، وخليفتي من بعدي".

وغمرت السيدة حكيمة موجات من الفرح والسرور وراحت تقول: جُعِلْتُ فداك يا سيّدي، الخلف

ممن؟

فقال ﷺ: "من سوسن".

فنظرت السيدة حكيمة إلى سوسن فلم ترَ عليها آثار الحمل فقالت للإمام: "إنّها غير حامل".

فتبسّم الإمام (عليه السلام)، وقال لها بلطف: "إذا كان وقت الفجر يظهرُ لك بها الحبل، فإنّ مثلها مثلُ أم موسى لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحدٌ إلى وقت ولادتها، لأنّ فرعون كان يشقُّ بطون الحبالى في طلب موسى، وهذا نظير موسى".

وقامت السيدة الزكيّة حكيمة من عند ابن أخيها، فلما حان وقت صلاة المغرب قامت فأدّت الفريضة، ثم تناولت الإفطار مع السيدة سوسن أم الإمام المنتظر، ثمّ عمدت بعد ذلك إلى فراشها، ولما حل الهزيع الأخير من الليل نهضت فصلّت صلاة الليل، وحينما بلغت الركعة الأخيرة وهي صلاة الوتر وثبت السيدة سوسن وهي فرجة مضطربة، فأدّت نافلة الليل، وبعد الفراغ أحسّت بالطلق، وبادرت نحوها السيدة حكيمة فقالت لها: هل تحسّين شيئاً؟ فأجابتها بفزع واضطراب: إنّي لأجد أمراً شديداً.. وهدأت السيدة حكيمة روعتها وقالت لها بعطف وحنان: "لا خوف عليك إن شاء الله..".

ولم يمضِ قليل من الوقت حتى ولدت السيدة سوسن وليدها العظيم الذي سيطهر الأرض من رجس الطغاة وجور الظالمين ويقم حكم الله تعالى في الأرض.

ولما بشر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بالمولود المبارك أحاطت به موجات من الفرح والسرور، وجعل يفنّد مقالة الظالمين من حكام بني العباس الذين زعموا أنّهم سيقتلونه ويحرمونه من النسل قائلاً: "زعم الظلمة أنّهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، فكيف رأوا قدرة الله؟".

الأخبار الدالة على إخفاء ولادة الإمام (عليه السلام):

لقد وردت أخبار كثيرة تشير إلى غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)، وقد تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل، وفيها الإشارة إلى ما يسود المجتمع البشري من الجور والظلم والاضطهاد. وهناك أحاديث أخرى تضمّنت الأخبار عن خفاء مولده (عليه السلام).

إنّ واقع الحال -الذي سبقت الإشارة إليه- وهو ظروف ولادة الإمام (عليه السلام) تعزّز ذلك، مع إمكان الاستفادة من الروايات التي وردت عن الرسول الأعظم (عليه السلام)، والتي تشير إلى غيبة الإمام (عليه السلام) وحيرة الأمة، ما يجري على أهل بيته (عليهم السلام) كمؤشرات على خفاء ولادته (عليه السلام)، ومن هذه الروايات والأخبار:

١- جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: "إنّ القائم ممّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعته، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه".

٢- الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: "القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد".

٣- عبد الله بن عطاء قال: "قلت لأبي جعفر -أي محمد الباقر عليه السلام- إن شيعتك بالعراق كثيرون فوالله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج؟".

فقال: "يا عبد الله بن عطاء قد أمكنت الحشو من أذنك والله ما أنا بصاحبكم"، قلت: "فمن صاحبنا؟" قال: "انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم".

٤- وعن أيوب بن نوح قال: قلت للرّضا عليه السلام: "إنّا لنرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يرده الله عزّ وجلّ إليك من غير سبق، فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك"، فقال: "ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع وحملت إليه الأموال، إلّا اغتيل أو مات على فراشه حتى يبعث الله عزّ وجلّ لهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ، غير خفيّ في نسبه".

علّة إخفاء ولادته:

إنّ قضية الإمام المهدي عليه السلام بكلّ أبعادها ومظاهرها قضيّة تتعلّق بإرادة الله سبحانه وحكمته، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهي من القضايا العامة التي اهتمّت الديانات بها. وقد بشرّ الأنبياء بظهور المصلح المنتظر الذي يزيل الظلم ويقيم دولة الحقّ، فهي ليست قضية إسلامية خاصّة، ولا هي من معتقدات الشيعة الإمامية فحسب، فالتوراة تضمّنّت البشارة به وكذا الأنجيل الأربعة، بيد أنّ وضوح الرؤية حول هذه العقيدة تجلّت بكلّ أبعادها - فيما عدا التوقيف بظهور الإمام عليه السلام - بما تناقله المسلمون على امتداد التاريخ الإسلامي منذ البعثة حتى يومنا هذا.

١- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله أي الإمام الصادق عليه السلام قال: "صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج".

٢- في رواية أنّ رجلاً حدّثه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: "كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي -أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام- كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه". فقلت له: "ولمّ ذاك يا ابن رسول الله؟" قال: "لأنّ إمامهم يُغيّب عنهم"، فقلت: "ولمّ؟" قال: "لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف".

٣- عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنّ للقائم غيبة يطول أمدها"، فقلت له: "يا بن رسول الله ولمّ ذلك؟" قال: "لأنّ الله أبى إلّا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيبتهم، وأنّه لا بدّ

له يا سدير من استيفاء مدد غيبتهم، قال الله تعالى: (لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) عن طبق أي سنن من كان قبلكم".

٤- وعن زرارة قال: "سمعت أبا جعفر -أي الإمام الباقر ﷺ- يقول إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم"، قال: قلت: ولم؟ قال: يخاف -وأوماً بيده إلى بطنه- "قال زرارة: "يعني القتل".

٥- عن أمير المؤمنين ﷺ قال: "إنَّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه".

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة كلها تفيد أنَّ علّة إخفاء الولادة وأنَّ سبب الغيبة يرجع إلى أمرين:

الأول: أن لا تكون في عنقه بيعة لطاغية زمانه.

الثاني: الخوف من القتل.

ونحن هنا نعرض بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ الدالة على الإمام المهدي الحجة ﷺ...

١- حدثنا عبد الجبار بن العلاء بن عبد الجبار العطار. حدثنا سفيان بن عيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

٢- قال عاصم: حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يلي.

٣- حدثنا محمد بن بشار. حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة قال: سمعت زيدا العمي قال: "سمعت أبا الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدثٌ فسألنا نبي الله ﷺ فقال: إنَّ في أمّتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً زيد الشاكُّ. قلنا وما ذاك؟ قال: سنين. قال: فيجيء إليه رجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني. قال: فيحشي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله".

تطبيقات

س١: إن مهمة الصلاح الشامل في الحياة مهمة عظيمة لا يصلح له أي إنسان، لذلك اختار الله لها من يملك الكفاءة والأهلية، ومثل هذا المصلح لا يبدو أن ترتبط عملية وجوده بما يعطيه التميز. فنبى الله موسى عليه السلام قيد حفظه الله تعالى وهو جنين في بطن أمه ثم حفظه أن أودعه في بيت الفرعون نفسه. في ضوء ذلك تكلم بإيجاز عن ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

س٢: إذا كان من مهام الإمام المهدي (عج) الإصلاح في الأرض فلماذا أخفيت ولادته وهو الحجة بعد أبيه عليه السلام.

.....

.....

.....

.....

.....

س٣: اذكر حديثاً واحداً يتناول موضوع إخفاء ولادته عليه السلام.

.....

.....

.....

الغيبة الصغرى وأهم ملامحها

بدء الغيبة الصغرى:

يؤرخ لبدء الغيبة الصغرى بوفاة الإمام العسكري عليه السلام فهي مقترنة بتولي الإمام المهدي عليه السلام مهام الإمامة، وقد بدأها الإمام عليه السلام بتنصيب وكيله الأول عثمان بن سعيد العمري عندما قابله وفد القميين، وسميت هذه الفترة بالغيبة الصغرى لعدم احتجاب الإمام كلياً، حيث كان يتصل بقواعده عن طريق وكلائه ونوابه.

ويمكن أن نجهل مميزات هذه الفترة -أي الغيبة الصغرى- بالنقاط التالية:

- ١- بدأت بتولي الإمام المهدي عليه السلام للمنصب الإلهي الكبير في إمامة المسلمين بعد ارتحال أبيه عليه السلام، ومسؤوليته الكبرى في قيادة قواعده الشعبية خاصة والبشرية كلها عامّة إلى شاطئ الأمن والعدل.
 - ٢- كان الإمام عليه السلام يتصل في هذه الفترة بعدد من ثقاته وخاصته ولم يكن احتجابه مطلقاً، بل يبدأ استتاره بعد نهاية هذه الفترة في سنة ٣٢٩هـ. بعد وفاة النائب الرابع علي بن محمد السمرى.
 - ٣- وجود السفراء الأربعة الموكّلين بتبليغ تعاليم الإمام المهدي عليه السلام إلى الناس من قواعده الشعبية، بحسب الوكالة الخاصة المنصوص عليها من قبل المهدي عليه السلام نفسه أو من قبل آبائه عليهم السلام.
- فكان كل ما يصدر عن الإمام عليه السلام ويرد عليه من قواعده يتم بواسطة هؤلاء السفراء.
- ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الفترة قد اشتملت على مصاعب جمّة ومشاكل كبرى قد واجهها الكيان الشيعي، وذلك بادّعاء الوكالة الخاصة من قبل أفراد متعددين زوراً وبهتاناً، ومعارضتهم للسفراء الحقيقيين، وإغرائهم الناس بالجهل والغواية، غير أنه لم يكتب لتلك المزايم إلا الفشل والخيبة، نتيجة لجهود واسعة بذلها السفراء في تكذيبهم وعزل الناس عنهم بإيصال كل ما كان يرد على الإمام عليه السلام من توقيعات وبيانات بصدد هؤلاء المنتحلين للوكالة.

كما أضيفت إلى مسألة ادعاء الوكالة صعوبات أخرى كان يواجهها الإمام المهدي (عليه السلام) وقواعده الشعبية ومواليه، حيث كانت المطاردة والبحث من قبل السلطة عن الإمام (عليه السلام) بالخصوص، وتجاه قواعده الشعبية على وجه العموم.

منها أن الدولة كانت توجه فقهاء للتصدي إلى مسألة الإمامة محاولة منها في تشويه هذا المبدأ بنفي حقيقة وجود الإمام المهدي (عليه السلام)، علماً بأن القواعد الشعبية الموالية كانت في هذه الفترة فاقدة للاتصال المباشر بشخصية الإمام (عليه السلام) والتعرف على تلك الشخصية الفذة النيرة التي تعطي من توجيهها وتديرها في نقض الشبهات وحل المشكلات الشيء الكثير، مما يصعب على الوكلاء والسفراء القيام به إلا بشكل يكون أضيق دائرة وأقل درجة. على أن الإمام المهدي (عليه السلام) في بياناته ومقابلاته للآخرين لم يكن يأل جهداً في التوجيه والتدبير وحل تلك الإشكالات وما يثار من المسائل الكلامية وسواها، مضافاً إلى أن فكرة غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) وطول عمره وما يترتب على ذلك من فائدة ونحوها من الأسئلة التي أصبحت تثار من قبل فقهاء السلطة لم يكن لها أي موضوع أو مجال في زمان وجود الأئمة (عليهم السلام)، وهذا الظرف كان يكلف السفراء، ومن ثم الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه مناقشة مثل هذه الشبهات وتذليلها بنحو منطقي مقنع من أجل إفهام المؤمنين ورفع مستوى وعي القواعد الشعبية الموالية.

أبرز الملامح العامة لعصر الغيبة الصغرى:

ويقصد بالملامح العامة أبرز الحوادث والظواهر التي تميّز بها هذا العصر، على المستوى الخاص (أي الكيان الشيعي) بقيادة الإمام المهدي (عليه السلام) وسفرائه، وعلى المستوى العام الذي يشمل حالة الدولة بطبقاتها المختلفة وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية، واستتباب الأمن أو الاضطرابات والانتفاضات، ويشمل الأمة أيضاً ووضعها وموقفها من الدولة والأحداث التي مرت بها خلال هذه الفترة التي امتدت سبعين عاماً تقريباً أي من وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) سنة ٢٦٠هـ وحتى وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمرى عام ٣٢٩هـ.

وأهم هذه الملاح:

- ١- انتقال الوكالة الخاصة أي السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام بين أربعة من خيار خلق الله وخاصته.
- ٢- تولي ستة من بني العباس للخلافة في هذه الفترة.
- ٣- ضعف الخلافة العباسية، وسيطرة الموالي والأتراك على دفة الحكم ومقاليد الأمور.
- ٤- قتل الخلفاء، إذ قلما يموت خليفة حتف أنفه.
- ٥- كثرة الحروب والاضطرابات الداخلية التي كان يقوم بها المعارضون للدولة من الأكراد والخوارج والأعراب وغيرهم.
- ٦- ظهور شخص في شمال أفريقيا يدعي أنه هو المهدي وأنه من ذرية إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو جد الفاطميين في مصر.
- ٧- ظهور القرامطة، وهم فرقة من الإسماعيلية تزعم أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، وهم من الباطنية، استحلوا أعراض الناس بالسيف والقتل وسلب أموالهم، خلال هجومهم على قوافل الحجّاج وقلعوا الحجر الأسود.

تطبيقات

س١: متى بدأت الغيبة الصغرى؟ وكيف كان يتصل الإمام عليه السلام بشيعته؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

س٢: اذكر أهم ملامح مرحلة الغيبة الصغرى:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

س٣: صح أم خطأ:

- () ١- سميت الغيبة الصغرى بهذا الاسم تمييزاً لها عن الفترة التي غاب فيها نبي الله عيسى عليه السلام.
- () ٢- بدأت الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام بعد ولادته مباشرة.
- () ٣- كانت وسيلة اتصال الإمام المهدي عليه السلام بشيعته هي اللقاءات المباشرة.

سفراؤه الممجّدون و المهام الأساسية للسفارة

وأقام الإمام المنتظر عليه السلام كوكبة من خيار العلماء والصالحين سفراء له كانوا واسطة بينه وبين الشيعة، وكانت مهمّتهم حمل المسائل الشرعية إلى الإمام وجوابه عنها، أمّا الوكلاء فهم:

الأول: عثمان بن سعيد:

هو أول وكلاء الإمام عليه السلام، كان ثقة زكياً أميناً، وقد قام بدور إيجابي ومتميّز في خدمة الأئمة عليهم السلام في أيام الطاغية المتوكّل الذي فرض الحصار الاقتصادي على الإمام الهادي عليه السلام، فقد منع المتوكّل من إيصال الحقوق الشرعية إلى الإمام عليه السلام، وكانت تصل على يد عثمان بن سعيد فيجعلها في زقاق السمن ويبيعها إلى الإمام الهادي عليه السلام، ومن بعده إلى ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وبذلك فقد رفع الضائقة الاقتصادية عنهم. وكان عثمان همزة وصل بين الإمام عليه السلام وشيعته، وقد تولى عنه النيابة المطلقة والوكالة العامة، فكان يحمل إليه حقوقهم ورسائلهم.

وفاته:

انتقل إلى حضيرة القدس ودفن في مقرّه الأخير في بغداد بجانب الرصافة، وله قبر مشيد يزوره المؤمنون.

تأبين الإمام عليه السلام لعثمان بن سعيد:

وأبّن الإمام المنتظر عليه السلام الفقيد العظيم بكلمة بعثها إلى نجله العالم المقدس محمد بن عثمان جاء فيها: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضاً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً إلى ما يقربه الله عزّ وجلّ إليهم، نصرّ الله وجهه، وأقال عثرته، أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، ورزيت ورزينا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله مع منقلبه، وكان من سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه

بأمره ويترحم عليه، وأقول: الحمد لله فإن الأنفس طيبةً بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك وقواك وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً...".

وحكت هذه الكلمات مدى حزن الإمام (عليه السلام) على نائبه الذي كان من عناصر الإيمان، كما أعرب الإمام (عليه السلام) عن ثقته البالغة بولده محمد الذي توفرت فيه جميع صفات الكمال.

الثاني: محمد بن عثمان:

وتولى محمد بن عثمان شرف النيابة عن الإمام المنتظر (عليه السلام)، فقد كان من ثقات الشيعة ومن علمائها المبرزين، وكان كأبيه موضع ثقة الجميع، وكانت رسائل الشيعة وحقوقهم تصل إليه وهو بدوره يوصلها إلى الإمام (عليه السلام)، ويحمل إليهم أجوبتها بتوقيعه، وقد كتب الإمام في حقه إلى محمد بن إبراهيم الأهوازي ما نصه: "لم يزل -أي محمد- ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه، ونضرب وجهه، يجري عندنا مجراه، ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل، تولاه الله فانتبه إلى قوله". انتقل إلى حضيرة القدس في آخر جمادى الأولى سنة (٣٠٥هـ).

الثالث: الحسين بن روح:

هو النائب الثالث للإمام المنتظر (عليه السلام)، وكان على جانب كبير من التقوى والصلاح ووفور العلم والعقل، وقد تولى شرف النيابة عن الإمام (عليه السلام) بعد وفاة محمد بن عثمان، وهو الذي أرشد إليه، فقد قال لوجوه الشيعة حينما سألوه عن الشخص الذي يخلفه: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عجل الله فرجه، والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم، وعوّلوا عليه في مهماتكم، وبذلك أمرت وقد بلغت... .

وقد جرت بينه وبين معانده للحق مناظرة رائعة تغلب فيها الحسين على خصمه، فأعجب بها محمد بن إبراهيم بن إسحاق، فقال له: هل هذا من عندك أو أخذته من أئمة الهدى؟ فأجابه الحسين: لئن أخرج من السماء إلى الأرض فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إلي من أقول في دين الله برأي ومن عند نفسي، بل ذلك من الأصل، ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه... .

بقي سفيراً عن الإمام (عليه السلام) إحدى أو اثنتين وعشرين سنة، وكان المرجع للشيعة والواسطة الأمين بينهم وبين الإمام، ومرض أياماً حتى أدركته المنية، وانتقل إلى جوار الله تعالى سنة (٣٢٦هـ)،

وقد جهّز وشيّع بتشيع حافل، ودفن في مقرّه الأخير الواقع في بغداد في سوق الشورجة التي هي مركز تجاري في بغداد.

الرابع: علي بن محمد السمرى:

تقلد النيابة العامة عن الإمام عليه السلام بنص منه، وهو آخر وكلاء الإمام عليه السلام، وقد أدّى النيابة بصدق وإخلاص، ويقول الرواة: إنّه قبل وفاته أخرج الشيعة رسالة موقعة من قبل الإمام المنتظر عليه السلام جاء فيها بعد البسملة: "يا عليُّ بن محمد السمرى، أعظم الله أجرَ إخوانك فيك، فإنّك ميّت، ما بينك وبين الموت سنّة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بأمر الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي على شيعتي من يدعي المشاهدة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..."

ويواجهنا في هذه الرسالة أنّها نفت من يدعي المشاهدة للإمام بعد الغيبة الكبرى ووسمته بأنّه كاذب مفتر، مع أنّه من المقطوع به أنّه قد تشرّف بخدمته والاستماع إلى حديثه جمهرة من المؤمنين الأخيار، وقد أوّل الحديث بتأويلات متعدّدة، لعلّ من أجودها أنّ من يدعي مشاهدته للإمام على نحو السفارة والنيابة عنه على غرار سفرائه الأربعة فهو كاذب مفتر، ولعلّ هذا التوجيه أقرب إلى الواقع. مرض السمرى وبقي في مرضه أياماً، ودخل عليه بعض الشيعة فقالوا له: من وصيّك من بعدك؟ أجابهم: لله أمرٌ هو بالغه.

انتقل إلى جوار الله تعالى سنة (٣٢٩هـ) في النصف من شهر شعبان.

الهوام الأساسية للسفارة:

ويمكن أن تحصر هذه المهام والوظائف في أمرين:

الأول:

تهيئة الأذهان للغيبة الكبرى، وتعويد الناس تدريجياً على الاحتجاب، وعدم مفاجأتهم بذلك، حيث تُنتج المفاجأة نتيجة سيئة لا محالة، إذ قد يؤدي ذلك إلى الإنكار المطلق لوجود الإمام المهدي عليه السلام.

ومن ثم رأينا كيف أنَّ الإمامين العسكريين عليهما السلام بدءا الاحتجاب عن الناس تدريجاً، وضاعفه الإمام العسكري عليه السلام على نفسه، كما أنَّ الإمام نفسه تدرَّج في عمق الاحتجاب.. فكانت فترة السفارة أيضاً إحدى الفترات المرحليَّة لتهيئَةِ الأذهان لهذا التدرج.

ومن المعلوم أنَّ هذا الغرض من السفارة يتحقَّق بنفس تحقُّق فكرة السفارة ووجود السفير في المجتمع ولو بأقل ما يقوم به من عمل، فضلاً عن اضطراره بالمسؤولية بالنحو المطلوب.

الثاني:

القيام بمصالح المجتمع بشكل عام، ومصالح القواعد الشعبية الموالية للأئمة عليهم السلام بشكل خاص، تلك المصالح التي تفوت بطبيعة الحال بسبب انعزال الإمام واختفائه عن مسرح الحياة وحضوره بشكل علني فيها، شأن أي مصلحة للمجموع تفوت بغياب القائد والموجه.

ومن ثمَّ جعلت السفارة، لكي يقود الإمام المهدي عليه السلام برأيه وإن فاتت قيادته بشخصه، ويكون التطبيق بين السفراء في حدود الإمكان وبحسب المصالح والتصرفات التي يراها ويخطِّطها الإمام المهدي عليه السلام نفسه، وهذا الغرض قد قام به كلُّ واحد من السفراء الأربعة خير قيام، حيث اضطلع بحفظ مصالح المجتمع، في حدود الجوّ الخانق، والمراقبة الشديدة والتحفظ.

تطبيقات

س١: جاء في رسالة الإمام الحجة عليه السلام لآلى سفيره الرابع: (.... وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة فهو كذاب مفتر...) فماذا يحتمل قصد الإمام من هذه العبارة بالرغم من حصول المشاهدة من قبل بعض المؤمنين والتشرف بلاقائه عليه السلام؟

.....

.....

.....

س٢: اكتب مذكرات مختصرة عن السفراء الأربعة:

أ- عثمان بن سعيد

.....

.....

ب- محمد بن عثمان

.....

.....

ج- الحسين بن روح

.....

.....

د- علي بن محمد السمرى

.....

.....

س٣: لخص أهم وظائف السفارة (النيابة الخاصة).

.....

.....

.....

.....

.....

١٨

بدء الغيبة الكبرى

كانت وفاة علي بن محمد السمرى (٣٢٩هـ) إيذاناً بابتداء عصر الغيبة الكبرى، وكان التوقيع الصادر عن الإمام عليه السلام إلى محمد قبل وفاته بستة أيام هو الإعلان عن انتهاء فترة الغيبة الصغرى، فلم تكن الغيبة الكبرى واحتجاب الإمام عليه السلام عن شيعته وقواعده أمراً مفاجئاً وغير متوقع بل قد مهد لهذه الغيبة الرسول الأعظم عليه السلام حيث تواترت عنه الأخبار الدالة على ذلك.

فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله عليه السلام قوله: "المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيته أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضل فيه الأمم، ثم يقبل كالشهاب، ويملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً"

وكما تواتر عن النبي عليه السلام ذلك، فقد تواتر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً من خلال الروايات الكثيرة التي تشير إلى الغيبة الصغرى والكبرى معاً.

الإعلان عن بدء الغيبة الكبرى:

كان التوقيع الشريف الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام إلى علي بن محمد السمرى يخبره بدنو أجله، وأنه ميت بعد ستة أيام، إعلاناً ببدء مرحلة الغيبة الكبرى وانتهاء الفترة الممهدة لها وهي فترة السفراء الأربعة التي عُرِفَت بالغيبة الصغرى.

ونص التوقيع المبارك هو: "بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول أمد وقسوة القلب وامتلأ الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

ووفقاً للنص المبارك يتضح ما يلي:

- ١- انتهاء دور النيابة الخاصة.
- ٢- إن مرحلة الغيبة الصغرى ودور السفراء -كوسطاء- كانا إتماماً لدور الأئمة عليهم السلام في إنضاج العقل الشيعي وإبلاغه مستوى عالياً في التفاعل مع الأحداث واستنباط أحكامها.
- ٣- بدء مرحلة النيابة العامة وإرجاع الشيعة إلى رواية أحاديث أهل البيت عليهم السلام في كل واقعة تحدث كما ورد في النص الشريف عن الإمام الحجة لأحمد بن إسحاق: "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواية أحاديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله".
- ٤- التمويه التام على السلطات الجائرة حول وجود الإمام عليه السلام، وأن من يدّعي مشاهدته فهو كذاب مفتر، فالسلطات والحالة هذه أمنت خروجه ليمحو الظلم والطغيان العباسي.
- ٥- إن أمر الإذن بخروجه عليه السلام عائد إلى الله سبحانه وتعالى.

علل الغيبة الكبرى:

- لقد أشارت الأحاديث الشريفة المروية عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام لأسباب وعلل غيبة الإمام عليه السلام، وبإلقاء نظرة متمعنة فيما جاء من النصوص حول الغيبة يتضح أن هذه الروايات والأحاديث على طوائف:
- ١- روى حنان بن سدير عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "إنّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها"، فقلت له يا ابن رسول الله ولم ذاك؟ قال: "لأنّ الله عزّ وجلّ أبى إلا أن يجعل فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) في غيبتهم، وأنّه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدّة غيبتهم، قال الله تعالى: "لتركنّ طبقاً عن طبق" أي سنن من كان قبلكم".
 - ٢- ما رواه زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال: "إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره"، قلت: ولم؟ قال: "يخاف" - وأوماً بيده إلى بطنه - قال زرارة: يعني القتل.
 - ٣- ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال - في جواب من سأله عن علّة الغيبة -: "لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف".

س ٣: اذكر باختصار ما هي العلة من الغيبة الكبرى.

١٩

إلى من يرجع الناس بعد الإمام (عليه السلام)؟

ولاية الفقيه:

أقام الإمام المنتظر (سلام الله عليه) الفقهاء العظام من شيعة ولادةً ونواباً عنه، كما أقامهم الأئمة الطاهرون ولادةً عنهم، وأمروا شيعتهم بالرجوع إليهم أيام الحكم العباسي الذي جهد على محاربة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فلم يكن هناك مجال بالرجوع إلى الأئمة، وأخذ الأحكام منهم، فقد جاء في مقبولة عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال عليه السلام: "من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله عز وجل أن يكفر به". فقلت: كيف يصنعان؟ قال عليه السلام: "انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حالنا وحرماننا، وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف، وعلينا ردٌّ، والرادُّ علينا رادُّ على الله وهو على حد الشرك بالله".

وأعطى الإمام (عليه السلام) للفقيه الولاية العامة، ونصبه حاكماً ومرجعاً للمسلمين في مختلف شؤونهم الاجتماعية، ومثل هذا الحديث مقبولة أو مشهورة ابن خديجة، فقال قال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام: "إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضائنا، فاجعلوه بينكم فإنني قد جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه".

ونصب الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) الفقيه العادل، حاكماً عاماً ومرجعاً للمسلمين، ونظير هاتين الروايتين التوقيع الصادر من الإمام المنتظر (عليه السلام) إلى الشيخ المفيد فقد جاء فيه: "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم...".

لقد نصب الإمام المنتظر (عليه السلام) في هذا الحديث وغيره الفقهاء نواباً عنه، وألزم شيعته بالرجوع إليهم، وتقليدهم في جميع شؤونهم الدينية.

أما من يتولى المرجعية العامة للمسلمين في زمان غيبة الإمام عليه السلام فلا بد أن تتوفر فيه

هذه الشروط وهي:

- ١- البلوغ.
- ٢- العقل.
- ٣- العدالة.
- ٤- الرجولة.
- ٥- الاجتهاد.
- ٦- الحرية -على قول-.

مسؤولياته:

أما الفقيه الذي يتقلد النيابة العامة عن الإمام عليه السلام، فهو مسؤول عما يلي:

- ١- رعاية العالم الإسلامي بجميع طوائفه وفرقه، وتقلد شؤونهم، والذب عنهم إذا دهمهم عدو، وغزا أرضهم كافر، وقد وقفت المرجعية العامة في (النجف الأشرف) إلى جانب ليبيا حينما غزاها الإيطاليون، كما وقفت إلى جانب الفلسطينيين حينما غزاها الصهاينة اليهود.
- ٢- الإنفاق على الحوزات العلمية الدينية، وتفقد جميع شؤونها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية.
- ٣- الإنفاق على الفقراء والبؤساء والمحرومين، هذه بعض مسؤوليات الفقهاء الذي نصبهم الإمام عليه السلام مراجع للعالم الإسلامي، وهنا بحوث مهمة ذكرها الفقهاء، والمعنيون بالبحوث السياسية الإسلامية لا مجال لعرضها.

تطبيقات

س١: ما المقصود من ولاية الفقيه؟

س٢: ما هي أهم الشروط الواجب توافرها من يتولى المرجعية؟

س٣: اذكر باختصار أهم المسؤوليات التي يجب أن يتحملها.

الإيمان بالإمام المهدي المنتظر ﷺ

من التكاليف المطلوبة إسلامياً حال الغيبة: الاعتراف بالمهدي ﷺ كإمام مفترض الطاعة وقائد فعلي للأمم، وإن لم يكن عمله ظاهراً للعيان، ولا شخصه معروفاً لدى الناس. وهذا من الضروريات الواضحة، على المستوى الإمامي للعقيدة الإسلامية، وقد اعتبرناها في هذا التأريخ أصلاً مسلماً.

فإنَّه الإمام الثاني عشر الموجه لقواعده الشعبية، وهو المعصوم المفترض الطاعة الحي منذ ولادته إلى زمان ظهوره.

وحسب الفرد المسلم أن يعلم أنَّ إمامه وقائده مطَّلَع على أعماله وملمَّ بأقواله، يفرح للتصرف الصالح ويأسف للسلوك المنحرف، ويعضد الفرد عند الملمات... حسب الفرد ذلك لكي يعي موقفه ويحدد سلوكه تجاه إمامه، وهو يعلم أنَّه يمثل العدل المحض وأنَّ رضاه رضاء الله ورسوله، وأنَّ غضبه غضب الله ورسوله.

كما أنَّ حسب الفرد أن يعرف أن أصل عمله الصالح وتصعيد درجة إخلاصه وتعميق شعوره بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين، يشارك في تحقيق شرط الظهور ويقرب اليوم الموعود. إذن ف (الجهاد الأكبر) لكل فرد تجاه نفسه يحمل الفرد المسؤولية الكبرى تجاه العالم كله، ويدعوه إلى ملئه قسطاً وعدلاً كما ملئ ظلماً وجوراً.

وقوله ﷺ: "القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، وشماله شمالي وسنّته سنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربّي عزّ وجلّ. من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذّب به فقد كذّبني، ومن صدّقه فقد صدّقني". إلى غير ذلك من الأخبار الواردة بهذا المضمون عنه ﷺ وعن أئمة الهدى عليهم السلام.

تطبيقات

س: اذكر الفائدة التي تنعكس على الإنسان من جرّاء جزء الاعتقاد بوجود الإمام وإطلاعه على أفعاله وسلوكياته.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

س: ما هي ثمرة طاعة الإمام ﷺ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢١

الانتظار و العمل الإسلامي قبل الظهور

الانتظار هو التوقع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهي الكبير وحصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية العدل الكامل بقيادة الإمام المهدي عليه السلام. وهذا التوقع الدائم لا يرفع التكاليف الإلهية بالنسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والدفاع عن شعائر الله ودفع الفساد الاجتماعي والفردية. بل إنه يدل على تأكيد الواجبات والتكاليف ولزوم الاستعداد التام للوقوف إلى جنب الإمام المهدي عليه السلام في غيبته وظهوره. وينسجم الانتظار في بعض مستوياته مع الإعداد والتمهيد لظهور الإمام المنتظر القائم بالقسط والعدل.

مستويات الانتظار:

ويتضح لنا مغزى هذا التكليف بالانتظار من خلال المستويات التالية:

١ - المستوى العقائدي: ويتكون برهانياً من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاعتقاد بتعلق الغرض الإلهي بإصلاح البشرية جميعاً وتنفيذ العدل المطلق فيها في مستقبل الدهر، وأن ما تعلق به الغرض الإلهي والوعد الرباني في القرآن لا يمكن أن يتخلف.

الأمر الثاني: الاعتقاد بأن القائد المظفر الرائد في ذلك اليوم الموعود، هو الإمام المهدي عليه السلام كما تواترت بذلك الأخبار عند جميع فرق المسلمين، ومن هنا أصبح ذلك ضرورياً الثبوت.

الأمر الثالث: الاعتقاد بأن المهدي القائد هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام... الأمر الذي قامت ضرورة المذهب الإمامي، وقامت عليه الأعداد الضخمة من أخبارهم... ووافقهم عليه جملة من مفكري العامة وعلماهم كابن عربي في الفتوحات المكية، والقندوزي في ينابيع المودة والحموي في فرائد السمطين والكنجي في البيان... وغيرهم.

٢- المستوى النفسي للانتظار: ويتكون من أمرين رئيسيين:

الأمر الأول: الاستعداد الكامل لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة، كواحد من البشر على أقل تقدير، إن لم يكن من الدعاة إليها والمضحّين في سبيلها.

الأمر الثاني: توقع البدء بتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة أو شروق الظهور في أي وقت؛ لما قلناه بأنّه منوط بإرادة الله تعالى، بشكل لا يمكن لغيره التعيين أو التوقيت. ومن المحتمل أن يشاء الله تعالى ذلك في أي وقت؛ مضافاً إلى الأخبار الدالة على حصوله فجأة أو بغتة.

٣- المستوى السلوكي للانتظار:

ويتمثل بالالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية السارية في كل عصر، على سائر علاقات الفرد وأفعاله وأقواله، حتى يكون متبّعاً للحق الكامل والهدى الصحيح، فيكسب الإرادة القويّة والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للتشرف بتحمّل طرف من مسؤوليات اليوم الموعود.

أهمية العمل الإسلامي ما قبل الظهور:

إنّ الفرد الذي يهرب بنفسه من ظروف الظلم، وهكذا المجتمع الذي يعيش في الرفاه النسبي بعيداً عن هذه الظروف، فإنّه لن يعمل ولن يستطيع الوصول إلى حدّ الوعي والإخلاص المطلوب.

كما أنّ الأمة إذا شاع بين ظهرانيها الظلم والتعسف، وكانت راضيةً به مستسلمةً تجاهه، لا يوجد فيها عملٌ ضده، ولا تفكير لرفعه أو التخفيف منه، إذن فسوف تكون أمة خائنة يتضاءل إخلاصها، وينمحي شعورها بالمسؤولية، وتحتاج في ولادة ذلك الشعور عندها من جديد إلى زمان مضاعف ودهر طويل، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ).

لهذا فالتفكير الجدي والعمل الصالح الجهادي هو الأساس لتصعيد درجة الإخلاص والشعور بالمسؤولية والمران على الصمود والتضحية هو الشرط الأساسي لتكفّل مهمّة اليوم الموعود.

إنّ شرط الظهور، هو هذا المستوى الإيماني، وليس كثرة الظلم وامتلاء الأرض جوراً، كما يريد البعض أن يفكروا، لوضوح أنّ الأرض لو امتلأت تماماً بالظلم، وانعدم منها عنصر الإيمان لما أمكن إصلاحها عن طريق القيادة العامّة، بل يكون مختصراً بالمعجزة التي برهنّا على عدم وقوعها، أو إرسال نبوة جديدة، وهو خلاف ضرورة الدين من أنّه لا نبيّ بعد رسول الإسلام.

س ٣: ما هي القيمة العقائدية للعمل الإسلامي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمان الانتظار؟

٢٢

تساؤلات حول قضية الإمام المنتظر (عج)

وتواجه قصة الإمام المنتظر (عليه السلام) عدة تساؤلات كان منها ما يلي:

التساؤل الأول:

من الإشكالات التي تثار حول الإمام المهدي (عج) هو طول عمره (عليه السلام) بصورة غير مألوفة؟

لحل هذا الإشكال نطرح إجابتين:

أولاً: هذا نقد يوجه إلى القرآن أيضاً، لأن القرآن يخبر عما يخالف الطبيعة في عمر نوح النبي فيقول: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾)، ولم يحدثنا عن عمره قبل أن يرسل نبياً، وكم بلغ عمره بعد الطوفان إلى حين وفاته.

ويخبرنا أيضاً عما يخالف المألوف في عمر إبليس، لأنه ينبئ عن وجوده قبل خلق الإنسان الأول، ويقول عنه أنه (.... مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٨﴾).

ويخبرنا بنظير ذلك عن المسيح أيضاً، لأنه يقول: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٣٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٣٨﴾) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿٣٩﴾).

لا بد أن يؤمن جميع أهل الكتاب بالمسيح قبل موته وإذن فالمسيح لم يموت ولم يقتل. والآية الأخرى: (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) تجري على ضرب من المجاز والتشبيه.

وفي الأحاديث والتأريخ قصص نادرة للمعمّرين، منها على سبيل المثال قصة لقمان بن عاد الذي عاش عمر سبعة نصور معروفة عند المؤرخين، وقول العرب: طال الأبد على لبد من الأمثال السائرة عندهم، (ولبد هو آخر النصور السبعة التي عاش عمرها لقمان هذا).

وفيه يقول الأعشى:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| وأنت الذي ألهيت قبيلاً بكأسه | ولقمان إذ خبرت لقمان في العمر |
| لنفسك إذ اختار سبعة أنسر | إذا مضى نسر خلوت إلى نسر |
| فعمر حتى خال أن نسوره | خلود وهل تبقى النفوس على الدهر |
| وقال لأدناهاً إذ حل ريشه | هلكت وأهلك ابن عاد وما تدري |

وناهيك بعمر سبعة نصور، والنسر من أطول الحيوانات عمراً، وأقل ما قاله المؤرخون عن لقمان هذا أنه قد بلغ خمسمائة وستين سنة وقيل أضعاف ذلك.

ثانياً: لو سلمنا مجازاة أن إطالة عمر الإنسان مئات السنين أو آلاف السنين غير ممكن عقلاً؛ لأن فيه تعطيلاً للقوانين الطبيعية التي تقضي بهرم الانسان وفناؤه، إلا أن ذلك غير ممكن بالنسبة لنا، أما بالنسبة إليه تعالى فإنه من أبسط الأمور وأهونها عنده، فقد جعل النار التي هي تامة للإحراق برداً وسلاماً على شيخ الأنبياء إبراهيم (عليه السلام)، وكذلك فلق البحر لنبيه موسى مع قومه وأنقذهم من الغرق وأغرق فرعون وجنوده.

إن إرادة الله تعالى إذا تعلقت بشيء فإنها تقلبه من العدم إلى الوجود، ألم يخرج الله تعالى نبيه العظيم محمداً (صلى الله عليه وآله) من داره حينما أحاطت به قريش التي أرادت تصفيته جسدياً فخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرون.

التساؤل الثاني: لماذا لم يظهر؟

من الأسئلة التي طرحت حول غيبة الإمام (عليه السلام) وهو لماذا لم يظهر، ليقوم حكم الله تعالى في الأرض؟

والجواب على ذلك: هو أن أمر ظهوره لم يكن خاضعاً لإرادة الإنسان ورغباته، وإنما هو بيد الخالق العظيم، فقد أرسل الله تعالى عبده ورسوله محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى العالم بعد مرور خمسة قرون من الجاهلية، وذلك بعد ما تحقق المناخ المناسب والجو العام لأداء رسالته، وكذلك قيام الإمام المهدي (عليه السلام) إنما يخرج حسب تحديد الله تعالى، وذلك بأن يهيئ له مناخاً شاملاً بجميع أنحاء الأرض حتى يبعثه الله تعالى ليقوم العدل الخالص بين عباده.

التساؤل الثالث: كيف يمكن قيامه بإصلاح العالم؟

من الشبهة التي أثرت حول الإمام المنتظر (عليه السلام) أنه كيف يقوم بإصلاح العالم، ويغير منهج الحياة العامة المليئة بالظلم والجور إلى منهج آمن مستقر لا ظل فيه للغبن والطغيان والاستبداد ولا شبح فيه للفقر والحرمان؟

والجواب على ذلك: أنه أمر ممكن، فإن الأنظمة العالمية والأحداث الجسام التي غيرت منهج الحياة يستند إلى الأفراد من عظماء البشرية أو الجماعة، فالنبي العظيم محمد (صلى الله عليه وآله) هو الذي رفع

رسالة الله عالية خفاقة، فقد ناهضته قبائل قريش وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، فاستطاع بعزمه وإرادته أن يسحقهم ويشيد صروح التوحيد، وهكذا نبي الله موسى الذي دمر فرعون، ورفع كلمة الله في الأرض، وكذلك نبي الله عيسى وغيرهم من رسل الله تعالى فقد قاموا بدورهم مستقلين بأداء رسالتهم الإصلاحية، وبذلك يتميز دور الفرد في ميدان الإصلاح الاجتماعي خلافاً لما ذهب إليه الماركسيون من إلغاء قيمة الفرد، وأنه لا أثر له في تغيير مجرى الأحداث وإنما الأثر للجماعة.

وعلى أي حال، فالإمام المنتظر عليه السلام كجده الرسول الأعظم عليه السلام يقوم بتغيير مناهج الحياة القائمة على الظلم والعدوان، فينقذ الإنسان مما أحاط به من المحن والأزمات وينشر الأمن والاستقرار والمحبة والوئام بين الناس.

س٢: من الإشكالات المطروحة حول فكرة الإمام المهدي (عج) باعتباره المصلح هو: لماذا لم يظهر الإقامة حكم الله وهو يرى أن الناس قد ضيعت هذا الحكم، أليس من واجبه باعتبار إمامه أن يفعل ذلك.

كيف ترد على هذا الاشكال؟